دولة الإمارات العربية المتحدة . حكومة الشارقة . المجلس الأعلى لشؤون الأسرة . إدارة مراكز التنمية الأسرية

دور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية في تنمية وتعزيز الانتماء الوطني

(دراسة تحليلية)

بسم الله الرحمن الرحيم

ISBN: 978 - 9948 - 18 - 489 - 8

الناشر: إدارة مراكز التنمية الأسرية، المجلس الأعلى لشؤون الأسرة . الشارقة . الإمارات العربية المتحدة
هاتف: 06 506 55 54
براق: 06 506 55 04
صندوق بريد: 2064, Sharjah, UAE
الموقع الإلكتروني: www.fdc-shj.ae
البريد الإلكتروني: info_tanmya@scfa.ae
FDCtanmya@

إخراج فني: فخرية علي آل علي

صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي . . حفظه الله

عضو المجلس الأعلى - حاكم إمارة الشارقة

دولة الإمارات العربية المتحدة . حكومة الشارقة . المجلس الأعلى لشؤون الأسرة . إدارة مراكز التنمية الأسرية

دور الأسرة والمؤسسات الاجتماعية
في تنمية وتعزيز الانتماء الوطني

(دراسة تحليلية)

المقدمة

الوطن هو المنزل الذي نقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله. (ابن منظور، ص٤٥١). ويشير معجم المصطلحات الاجتماعية إلى أن الوطن: هو البلد الذي تسكنه أمة –أو شعب– يشعر المرء بارتباطه به وانتمائه إليه (بدوي، ص٩٣).

أما الوطنية فهي العاطفة الفطرية التي تعبر عن ولاء الإنسان لبلده، وهي إنتماء الإنسان لدولة معينة يحمل جنسيتها، ويدين بالولاء لها. وهي تعبير عن حب الإنسان لوطنه وإخلاصه له. والوطنية ممارسة قبل أن تكون تنظيراً وسلوكا فردياً، وقبل أن تكون سلوكاً جماعياً. كما أن الوطنية حب فطري، وحب يكتسبه الفرد من الأسرة والمجتمع من حوله.

تعاني كافة أقطار الوطن العربي اليوم من تلك التحديات الحادة والمتواصلة التي تعتري مسيرة الأطفال والشباب العربي وتستهدف شخصيتهم، عبر الانفتاح الثقافي على نظريات الغرب وأفكاره وبما يتوافق أو لا يتوافق مع المجتمع الإسلامي بقيمه وتقاليده التي تمثل أعلى درجات عزته. (علوان، ص33).

ويعتمد هذا الانفتاح في تسويق الثقافة الغربية، والعادات وخاصة غير المتوافقة مع قيمنا، وذلك عبر الإعلام المهيمن والمبرمج، من خلال الشبكات الفضائية والعنكبوتية، لتدخل إلى عقول النشء الجديد فتتدخل بحياتهم في محاولة لتبديل توجهاتهم وتقاليدهم إلى الثقافة المستوردة، والوصول إلى المزيد من السلوكيات المرفوضة البعيدة عن القيم والمثل والتقاليد والمبادئ التي جبلت عليها المراحل العمرية الشبابية لحقب طويلة من التاريخ.

وإذا كان الإعلام المفروض عالمياً قد أعطى صورته المعلنة بأطروحاته الجيدة وغير الجيدة لتسويق ثقافة العولمة. فيجب علينا أن نستقي الجيد منها ونرفض جزئية الفوضى التي تسخر منا ومن تقاليدنا وقيمنا، بل وتسخِّر كل جهدها للنفاذ إلى عقول أطفالنا وشبابنا لفرض قيمها وتقاليدها، فلا شك أن شمس الحقيقة لا يمكن أن تغيب إلى الأبد. ومع شروقها ستستنير العقول وتنجلي حقائق الأمور بإزاحة الضباب عنها.

والحقيقة أصلاً مستقرة في الذهن وفي البصيرة وفي القلب المؤمن، نورٌ قويٌ واضح تتميز به حقائق الأشياء ويسّهل على أهل النور الإدراك والتحسس من أن منازلة الباطل ومكافحته لا تكلفهم من الجهد أكثر مما يتكلفون في إزالة الزبد من على وجه الماء. وهنا علينا أن نتذكر أن بين الحق وفطرة الإنسان نسباً، فكلاهما

من روح الله ، فإذا فطنت حماسة قلب المرء إلى الحقائق التاريخية ، رأيت فطرته تسرع إليها إسراع الأليف إلى أليفه في غير إنكار ولا تردد ، بل تقبلُ عليها في معرفة وثقهة ويقين ، وفي لذةٍ وشوق وحنين . ذلك بأن الحق مسطورٌ بقلم الله جلّ شأنه ، في كل فطرة ، وفي كل زمان ومكان .

هدف الدراسة

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على الأدوار المطلوبة من الأسرة والمؤسسات الاجتماعية والمؤسسات ذات العلاقة في الدولة والتي لها صلة بتنشئة وتنمية الانتماء الوطني في نفوس الأطفال والشباب في ظل الانفتاح الثقافي الغربي المعاصر .

أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة في أن العولمة الثقافية تضغط اليوم على الفئة العمرية التي تشمل الأطفال والشباب من أجل تعديل أو تبديل اتجاهاتهم وتوجهاتهم الأخلاقية والقيمية وتغيير سلوكياتهم بالإضافة إلى عجز مؤسسات الدولة وتقاعسها في مجال تعزيز الهوية الوطنية والانتماء . ولعل ذلك يستوجب اتخاذ الإجراءات الاحترازية والوقائية والدفاعية في شتى المجالات وخاصة الأسرة ومؤسسات الدولة المعنية في مجابهة هذا التحدي .

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في الفارق الواسع بين حجم وكثافة البرامج الفضائية والعنكبوتية لتحقيق أهدافها في تحقيق نتائج العولمة ، وضعف استجابة مؤسسات الدولة في عموم بلدان الوطن العربي في تغيير وتفعيل نشاطاتها المجابهة لهذا التحدي .

حدود الدراسة

تتحدد هذه الدراسة في النشء الجديد للفئات العمرية التي تشمل الأطفال والشباب الذين تستهدفهم العولمة لتحقيق إبعادهم عن التمسك بمبدأ الانتماء الوطني وما له من تأثير انعكاسي سلبي خطير على عموم منظومة القيم والمثل والتقاليد الوطنية والعربية والإسلامية .

منهج الدراسة

تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة .

مفهوم الانتماء الوطني

الانتماء لغة هو الانتساب(ناصر ، ص37) ، فانتماء الولد إلى أبيه انتسابه إليه واعتزازه به ، والانتماء مأخوذ من النمو والزيادة والكثرة والارتفاع ، فالشجر ينمو وكذلك الإنسان . والانتماء أيضاً هو الانتساب للأسرة والقبيلة والمدينة والدين والوطن . أما الانتماء الوطني اصطلاحاً فهو الارتباط الحي بالوطن فكراً ومشاعر ووجداناً ، ويعبر الانتماء عن صلة الإنسان بالأرض والوطن والتاريخ والقيم السائدة في المجتمع . (عبد المنعم ، ص63) .

واعتزاز الفرد بالانتماء لوطنه يأتي من خلال تفاعله مع معطيات ومتطلبات وطنه وبروز محبته له والاعتزاز بالانضمام إليه والتضحية من أجله . ومن المعلوم أن مفهوم الانتماء الوطني هو مفهوم فطري ومكتسب في آن واحد ، فهو فطري حيث يولد مع ولادة الإنسان من خلال ارتباطه بوالديه وبالأرض التي ولد فيها ، فنجد الطفل يلتصق أولاً بأمه ، ثم أسرته ، ليصل بعدها إلى المدرسة . . الحي . . ثم يتنامى ليرتبط هذا المفهوم بالأرض تلك البقعة الغالية التي تسمى الوطن . فيتجلى للإنسان عندها عمق حبه لمجتمعه وحرصه عليه وتفاعله مع جميع أفراده . وهو مكتسب أيضاً لأنه ينمو أكثر من خلال مؤسسات المجتمع المتمثلة في المدرسة والأسرة والمسجد والعمل . فالوطن عموماً هو الذي نحيا به ونترعرع في كنفه ونتمتع بخيراته وننعم بهوائه وبطيب خيراته ونشم عبير ذكرياته . والانتماء هو التفاعل الروحي والعقلي والوجداني الكامن في خلجات الإنسان والذي يظهر عليه إجرائياً في المواقف المختلفة ذات الصلة بالوطن دون اكتراث للخسائر المادية والشخصية التي قد تنجم جراء تلك المواقف .

والانتماء فكر وشعور داخلي تجسده الجوارح . وهو روح وسلوك وعاطفة ، كما إنه شعور لا يتم بالقوة الجبرية ، ولا بد أن يكون عن قناعة واختيار حر . (دعبس ، ص 136) . وهو من أهم الحاجات الإنسانية حيث إن الإنسان كائن اجتماعي يحتاج إلى إشباع حاجاته الثقافية لبناء شخصيته وفق معطيات المجتمع الذي يعيش فيه(قصيعة ، ص76) . وهو يتعدد ويتنوع ، ولكنه بكل الأحوال يجب أن لا يتعدى حدود الوطن ، أي بمعنى أنه يجب أن لا يقفز الانتماء الفرعي مهما كان- سواء للأسرة أو القبيلة أو المنطقة أو الفئة على الانتماء للوطن ولا يسمو عليه بأي حال من الأحوال ، لأن ذلك يعني الفرقة والتفرقة والشذوذ عن

القاعدة الوطنية التي تجسد حب الوطن .

وعموماً فإن الانتماء يتشكل من حلقات متعددة ومتداخلة ، ويتكون من تفاعل وانصهار العديد من المؤثرات الناشئة عن مصادر الانتماءات الأخرى سواء للعشيرة أو القبيلة التي ينتسب إليها ، أم للقرية أو المدينة التي يقطنها ، أم إلى الجماعة أو الطائفة التي ينتمي إليها ، أم للديانة أو العقيدة التي يؤمن بها . (أبو بكر ، ص32) .

وهكذا يصبح من واجب كل فرد أن ينتمي أولاً وأخيراً إلى وطنه دون التمسك بالأفرع الأكثر خصوصية كالانتماء المذهبي أو الديني أو الطائفي أو القبلي أو العائلي أو العرقي . وبالتالي فالانتماء الوطني هو الانتماء الحقيقي الجميل للوطن . والذي يعبر فيه الإنسان عن مشاعره تجاهه . (ناصر ، ص37) .

والانتماء الوطني ليس كلمة نرددها ، أو ابتسامة نفتعلها ، أو حسرة نطلقها . إنما هو شعور وأحاسيس وممارسة يومية نفعلها ونكرسها وننذرها عن إيمان واقتناع لمصلحة الوطن ، وهو ميل يحركه دافع قوي لدى الإنسان لإشباع حاجته الأساسية في الحياة . (فراج وإبراهيم ، ص103) .

وفي ذلك نستشهد بجوارح الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) عندما ترك مكة المكرمة مجبراً بعد أن أخرجه أهلها منها وهي موطنه الحبيب فقال على أبوابها (ما أطيبك من بلد ، وأحبك إليَّ ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما تركتك) صحيح الترمذي حديث (٣٩٢٦) . وهذا أجل دليل على حب الإنسان لوطنه وصدق الانتماء إليه .

والانتماء الوطني هو بالأساس حاجة أساسية للإنسان لا يمكنه التخلي عنها ، تشعره بارتباطه بباقي أفراد المجتمع واعتزازه بأرضه وفخره بوطنه . فهناك علاقة وثيقة بين كل من الانتماء الوطني والتماسك الاجتماعي (إبراهيم ، ص65) .

وعموماً فإن الإنسان دون انتماء وطني هو بلا مشاعر حسية إنسانية لأن الوطن والإنسان عنصران متلازمان يتفاعلان مع بعضهما ، وكل منهما يزود الآخر بعناصر الدعم والأمان . فالوطن يضفي المشاعر والأحاسيس والذكريات والارتباط بالأرض إلى الإنسان الذي بدوره يرتبط ويتعلق نفسياً واجتماعياً وحسياً وفكرياً مع الوطن الذي يستحق منه كل معاني الإيثار والعطاء والفداء .

كما يتضمن الانتماء الوطني التمسك بقيم الاعتزاز والفخر بالانتساب إلى الوطن والعمل الجاد لتحقيق

مصالحه العليا. ويتحول مفهوم الانتماء ويتطور من مجرد الانتساب والشعور، إلى الفعل والسلوك الإجرائي التطبيقي، وفيه تذوب المصالح الشخصية أو تنخرط في المصلحة الوطنية العليا للمجتمع (دعبس ص162).

وعند ذاك يسمى هذا المفهوم بالولاء، وهو حالة متقدمة جداً في الانتماء، وهو يكتسب من البيت و القبيلة و المنطقة ثم من المجتمع والوطن الذي يتوافق مع الدين. فالولاء الوطني والديني يولدان الحب للوطن الذي هو الوعاء الذي يجمع الناس، فيتبادلون في إطاره الحقوق والواجبات، وهو مسقط الرأس ومحل التربية والإقامة الذي يتطلب الدفاع عنه، بل التضحية وتقديم كل غالٍ ونفيس من أجله حتى لو كلف ذلك الاستشهاد من أجل بقائه وعزته وكرامته. كما أن مشاركة المواطن في بناء وطنه بشتى المجالات والأصعدة تشعره بقيمة إنتمائه وولائه للوطن الذي احتضنه وأعزه ورباه وكبره ومنحه حقوقه الوطنية، والتي تفرض عليه الواجبات الأساسية كمواطن صالح، وهنا يتعمق الاعتزاز والفخر بالوطن (القاعود والطاهات ص91).

وهنالك العديد من المعوقات التي يمكن أن تسبب الإخفاق في تنشئة أو تعزيز الانتماء الوطني في نفوس الأطفال والشباب ومنها مثلاً، فشل الأسرة أو المدرسة في ذلك، أو زيادة حدة البطالة والمشاكل الاقتصادية الحادة التي يعاني منها المجتمع، أو عدم توفر النوادي ومراكز الشباب وقصور الثقافة والملتقيات الثقافية عن استيعاب وترشيد طاقات الشباب (دعبس، ص163).

هذه المعوقات التي تستغلها العولمة الثقافية لتحقيق الاختراق السريع والعميق إلى منظومة القيم والمبادئ والتقاليد الاجتماعية السائدة، فتفضي إلى التأثير السلبي على عمق الانتماء الوطني.

أولاً: دور الأسرة:

تشكل الأسرة خط البداية في عملية غرس القيم الدينية وقيم الانتماء الوطني في نفوس أطفالها، فهي السور العالي الذي يحمي الأطفال من الانحراف أو الابتعاد عن هذه القيم العظيمة. فتربية الأطفال تربية جيدة ترتكز على غرس مفاهيم حب الوطن والانتماء والمبادئ والقيم والأخلاقيات التي تسهل على الطفل كيفية التعايش مع غيره، والتأكيد على أهمية التمسك بالعقيدة الإسلامية السمحة المرتكزة على التسامح والوسطية والاعتدال وحب الوطن والابتعاد عن الغلو والتطرف، وكلها عوامل أساسية في بناء شخصيتهم الوطنية القائمة على الانتماء الوطني الصميم.

ويتبنى الأبوان المسؤولية الأساسية في هذه العملية . وبالطبع فإن العلاقة بين الزوجين ذات تأثير إيجابي على التنشئة والتعزيز لعموم القيم والمثل والمبادئ والتقاليد العربية الإسلامية التي يدخل الانتماء الوطني كأحد أهم مكوناتها . فإذا توفرت علاقة الرحمة والمودة والعواطف الجميلة بينهما والتي تقوم على أساس الاحترام والاهتمام والتفاهم المتبادل ، فإن ذلك ينعكس بالتأكيد على منظومة التربية للأطفال .

وبالطبع فإن أساليب التنشئة إن لم تكن موجهة توجيهاً سليماً فإنها تسبب حدوث مشكلات نفسية لدى الأطفال الذين يشكلون الحلقة الأضعف في البناء الأسري (الرفاعي ، ص3) .

فالطفل منذ نشأته يتأثر كثيراً بنمط وأسلوب وطبيعة العلاقة الأسرية بين والديه . وفي كنفها يتلقى العناية والحنان والحب ، وفيها تتعزز قيم الانتماء الوطني . فالطفل يبدأ بممارسة أول أنواع التعامل الاجتماعي في إطار أسرته ، والتي يؤثر كل من الأب والأم فيها بما يتبنانه من أساليب معاملة وتنشئة ، وبما يلقناه من معايير وقواعد سلوكية ، وقيم أخلاقية ودينية ووطنية (إسماعيل ، ص266) .

وبالطبع فإن الأم تلعب الدور الأساسي في تنشئة وتعزيز قيم الانتماء الوطني . فهي القادرة على التأثير الفاعل في هذا المجال من خلال تلك الموّاويل والقصص الوطنية التي تتغنى بها أمام طفلها . أما الأب فيتمكن من خلال الحديث عن الوطن وأهمية الدفاع عنه ومآثر التاريخ لأجدادنا العظام من تحقيق هذا الغرس الطيب .

فالأطفال يمثلون العنصر الهام فلابد من أن يتلقوا العناية المعنوية والمادية في فترة النمو من والديهم لكي يشبوا أصحاء ويصبحوا على درجة عالية من حب الوطن والانتماء إليه (يوسف ، 176) . وبالعكس من ذلك فالطفل الذي لم تفتح عيناه على أبوين حانيين ، ولم ينشأ في أسرة متماسكة ، ينمو مبتور العواطف شاذ السلوك بعيداً عن قيم الانتماء الوطني (الدمرداش ، 73) .

وتعمل الأسرة على تحديد ميول الطفل بعد أن تغرس فيه العادات والتقاليد الخاصة التي تربط أفراد الأسرة ببعضهم ، ثم تربطهم بالمجتمع الذي يعيشون فيه (الشميري ، ص55) .

فمعاملة الوالدين لها تأثير عميق في بناء وإعداد الطفل للتمسك بالأسرة من ناحية ولتعامله مع الحياة الاجتماعية من ناحية أخرى (الدخيل ، ص67) .

ثانياً: دور المؤسسة التربوية والتعليمية:

من المعلوم أن نظم التربية والتعليم تتأثر بالظواهر الاجتماعية المحيطة بها في المجتمع، وبالنظام السياسي والديني والاقتصادي وبدرجة تقدم العلوم والاتجاهات الفكرية السائدة. فمثلاً في الولايات المتحدة الأمريكية تسعى التربية إلى إعداد الطالب ليكون رجل أعمال، وفي بريطانيا تتجه التربية لإعداد ما يسمى (Gentleman) وتعليم صفات الاعتداد بالنفس وتقدير الواجبات، وفي فرنسا تتجه التربية إلى تعزيز وتقوية الصفات العقلية.

ومما يؤسف له أن المثل الأعلى للتربية في بعض المجتمعات العربية قد يتركز في حصول الطالب على المؤهل العالي الذي يؤهله للحصول على وظيفة معينة، بغض النظر عن الاستفادة الفكرية والأدبية والعلمية وبهذا تكون النظرة إلى الشهادة المتوسطة وما دونها أقل احتراماً وتقديراً (دعبس، ص260).

ومن حيث المبدأ يمكن القول إن تسمية وزارة التربية والتعليم بهذا الاسم في معظم الدول العربية وتقديم التربية على التعليم هو من العوامل الإيجابية في الرؤية الاستراتيجية العربية لفكرة تنشئة وتنمية مبدأ الانتماء الوطني. ومن هنا فإن على المسؤولين في هذه الوزارة أن يعوا أهمية ترسيخ وتنشئة وتنمية هذا المبدأ، ولا بد من أن يتبادر إلى أذهانهم الأسئلة التالية:

- هل تتبنى بالفعل المواد والمناهج المقررة في مختلف المراحل الدراسية تحقيق هذه الرؤية الاستراتيجية؟

- هل تتمكن مواد المقرر لدروس مادتي التربية الوطنية والتربية الدينية من أن تنمي وتفعل فكرة الانتماء الوطني في نفوس الطلبة في ضوء الغزو الثقافي والإعلامي المعاصر؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات لابد من الاطلاع على المناهج الدراسية ومقارنتها بما يجري حولها من ثقافات وتحديات مضادة وحادة وجادة تتقاطع تماماً مع الوسائل والأساليب التقليدية المعتمدة لمجابهتها.

فنجد مثلاً أن المواد الدراسية العلمية والإنسانية في مختلف المراحل الدراسية كالعلوم والفيزياء والرياضيات والكيمياء واللغة الإنكليزية تكاد أن تخلو من الأمثلة والنماذج والوقائع والتجارب الوطنية، عدا تلك التي تعتمد في مقرر مادة التربية الوطنية وبعض من النزر القليل في مواد التاريخ والجغرافية واللغة العربية والتربية الإسلامية التي لا ترتقي إلى مستوى الحد الأدنى المطلوب من متطلبات تعزيز مبدأ الانتماء الوطني في ظل هجمة العولمة الثقافية.

ولعل هذا الأمر وللأسف الشديد يشمل أغلب إن لم نقل جميع أقطار الوطن العربي بمؤسساته التربوية . والذي كان من المفروض أن تتلاءم فيه الأهداف التعليمية والمناهج التربوية مع الأوضاع الاجتماعية المعاصرة وما طرأ عليها من تغيير بسبب تأثيرات العولمة الثقافية (خوري ، ص56) .

وحتى وسائل التعليم بقيت على حالها دون تغيير إلاَّ بالنزر القليل والبطيء ، فنجد مثلاً أن وسائل العولمة الثقافية اعتمدت على الشبكة العنكبوتية من خلال الحاسوب وعلى الفضائيات من خلال جهاز التلفاز بينما ظلت وسائل التعليم تعتمد على التلقين اللفظي دون أن ترتقي إلى الوسائط المتعددة بالكلمة والصورة ، أي السمع والبصر في آن واحد(ماير ، ص13) ، وبشكل واسع وذلك من خلال استخدام نفس أجهزة العولمة أي الحاسوب والتلفاز وغيرها .

أما المناهج الدراسية فللأسف لم يتم اتخاذ الإجراءات العملية والسريعة في عموم بلدان الوطن العربي لتغيير المناهج بما ينسجم وطبيعة الهجمة الشرسة للعولمة الثقافية وتأثيراتها السلبية على منظومة القيم بشكل عام وعلى مبدأ الانتماء الوطني بشكل خاص .

ولعل أبرز النقاط التي اتسمت بها هذه المناهج تمثلت بمركزية التعليم حيث يوكل لمجموعة من الأساتذة الذين يدرسَون مادة دراسية ما لتصميم المنهج الدراسي في المادة المذكورة دون إشراك الكوادر المتخصصة بالجوانب النفسية والاجتماعية لرفع مستوى الانتماء الوطني من خلال هذه المناهج (خوري ، ص219) .

فما الضير لو كرست مواد اللغة الإنكليزية مثلاً في موضوعاتها لتعزيز هذا الاتجاه؟ وما المانع من أن تركز مواد التاريخ بشكل معمق على التاريخ الإسلامي في منظومة القيم والتقاليد والأخلاق السائدة في الصفحات المشرفة والمشرقة التي شهدها هذا التاريخ المجيد لأمتنا؟

وبالطبع فإن الأمر يستدعي إلقاء الضوء الساطع على هذه المنظومة من المشاهد والمآثر والمواقف الوطنية المحلية التي شهدتها حقب الزمن المتتالية على المستوى الوطني بدلاً من التركيز على تاريخ الأمم الأخرى أو العصور المختلفة البعيدة عن معطيات ومتطلبات الواقع الوطني والقومي . تلك المشاهد والمواقف التي ترسخ مكانة الوطن ووحدته وقدرات أبنائه في نفوس الطلبة ، وتعزز إخلاصهم ووفاءهم له والتفاني من أجل حمايته .

ومن ناحية أخرى فإننا نجد من الضرورة بمكان أن يتم تضمين كافة المواد الدراسية المقررة تنظيم زيارات ميدانية لمواقع وطنية مختلفة ، منها المصانع والمزارع والمتاحف ومواقع العمل الوطني المختلفة التي تسهم

بدورها في ترسيخ مبدأ الانتماء الوطني بشكل إجرائي وعملي لا يمكن للطالب أن ينسى ذكراها ، فضلاً على كونه يمثل عناصر التشويق في الدراسة .

وكذلك فإن الأمر يستوجب تنشيط الإذاعة المدرسية لتشمل موضوعات مبرمجة مركزة ، وأناشيد وطنية حماسية ، فضلاً عن تفعيل اتجاهات الطابور الصباحي في مجال مراسيم رفع علم البلاد وأداء التحية له وعزف السلام والنشيد الوطني بما يسهم في تعزيز الانتماء الوطني . كما لا بد من كشف وتفعيل وتنشيط مواهب الطلبة وإشراكهم ضمن المجالس والاتحادات والنشاطات المختلفة التي تدعم العمل الجماعي الوطني .

ومن باب آخر فإن الأمر يستدعي الاحتفاء بكافة المناسبات الوطنية والدينية وإبرازها في جميع المدارس وتوظيفها لغرس مفاهيم حب الوطن ، مع خلق حالة من التنافس بين إدارات المدارس لترجيح المدارس المتفوقة في هذا المجال وتكريمها مادياً ومعنوياً بعد وضع المعايير والضوابط الخاصة لهذا النوع من التقييم من قبل لجنة وزارية متخصصة .

وهناك مسألة أخرى ينبغي الانتباه لها ومتابعتها وتدقيقها باستمرار ، تلك المتعلقة بالمعلمين والمدرسين المتخصصين بالتربية الوطنية ، حيث يجب وضع معايير دقيقة لانتقائهم ، ولا بد من تقييم انتمائهم وقدراتهم وحرصهم الأكيد والشديد في إيصال المقرر الدراسي بالشكل المطلوب إلى أذهان ونفوس الطلبة .

وأن تعد استمارة خاصة لحصر هذا الأمر والتواصل في متابعته ، حيث إن المواد الدراسية وإن كانت ذات مدلولات معمقة ومهمة ، إلا أنها تبقى مقصورة إن لم تجد المعلم والمدرس والموجه الذي يتناولها كما يجب وكما هو مطلوب .

وفي هذا المجال أيضاً لا بد من التفكير في تطوير المعلمين والمعلمات بالانخراط في الدورات التدريبية والحلقات النقاشية لرفع مستوى تأهيلهم وأدائهم وزيادة قدراتهم الذاتية في تعزيز مبدأ الانتماء الوطني في نفوس الطلبة من خلال المقرر الدراسي لمادة التربية الوطنية .

ومن هنا لا بد من تقييم كافة المناهج التعليمية الخاصة بمادة التربية الوطنية لكافة المراحل الدراسية وإعادة ترتيبها وصياغتها بما ينسجم ومتطلبات مجابهة تحدي ثورة المعلومات وغزو القنوات الفضائية المختلفة والشبكة العنكبوتية . تلك التي زرعت ثقافة الكراهية والحقد واللامبالاة ومحاولة انتزاع الأحاسيس والمشاعر الوطنية من نفوس النشء الجديد .

هي القنوات الفضائية التي استحوذت مع الأسف الشديد كثيراً على عقول الكثير من الأطفال والشباب من خلال برامجها السياسية والاجتماعية والترفيهية وحتى الرسوم المتحركة الموجهة، والتي يمكنها أحياناً تحقيق التفوق على تأثير الأسرة والمدرسة في منظومة التربية إن لم تتخذ الإجراءات الاحترازية والوقائية والتربوية اللازمة لهذه المجابهة.

هذا فضلاً عن شبكة المعلومات الدولية التي سعت وتسعى في بعض مجالاتها الخطيرة إلى طمس الثقافات المحلية والقضاء التام على التقاليد والقيم والمثل السائدة في المجتمع والمغروسة عبر حقب التاريخ المختلفة حيث ركزت على تحطيم وتهديم وتهشيم منظومة الأخلاق من خلال العديد من الاتجاهات بما فيها تلك الصور والأفلام الإباحية وغيرها. فلم يعد بعض الشباب يهتم بجغرافية وطنه وتاريخه ورموزه الوطنية بقدر ما يهتم بشؤون الفنانين والأفلام والمسلسلات والموضة والثقافات والسلوكيات الأجنبية القشرية المستوردة.

ولذا جاءت الأهمية بضرورة زيادة الاهتمام بالمنهج العلمي والمقرر الدراسي الخاص بالتربية الوطنية لدى المتعلمين، والذي ينبغي أن يتصف بالوضوح في الصياغة والدلالة والشمولية، وأن يتناول كل ماله صلة بترسيخ الانتماء الوطني، على أن يكون منهجاً متدرجاً وفقاً لمراحل الدراسة المختلفة وفئاتها العمرية المشمولة. كما ينبغي أن يحقق التوافق والانسجام بين موضوعاته وبين الفئة العمرية التي يستهدفها بحيث يتمكن الطلبة من تفهمه واستيعابه وترسيخه في أذهانهم.

ومن باب آخر فإن مادة التربية الدينية هي الأخرى ينبغي أن تحظى بنفس الأهمية التي تعطى لمادة التربية الوطنية. وللأسف نرى تقليل الساعات المقررة لهذه المادة الدراسية المهمة وتضييق مواردها، وإسنادها إلى غير المختصين أو المؤهلين، مع التقليل من قمة وقدر واحترام المعلمين أحياناً من معلمي ومدرسي مقررها (علوان، ص149).

ويجب أن توضع المعايير والضوابط الدقيقة والعميقة لانتقاء المعلمين والمدرسين المتخصصين بتدريسها خاصة وأن هناك العديد من الاختراقات التي يمكن أن تحدث في عصرنا الراهن من قبل بعض التنظيمات المتشددة التي لا تؤمن بالوسطية والاعتدال والتسامح وعدم الاعتداء، والتي هي من السمات الأساسية لديننا الحنيف.

كما ينبغي إعادة النظر في المناهج الدراسية المقررة لمادة التربية الإسلامية لتكون واضحة، بسيطة، متدرجة

وقـادرة علـى الاسـتجابة لخلـق حالـة التحـدي لمشـروع العولمـة مـن ناحيـة ، وتعزيـز مبـدأ الانتمـاء الوطنـي مـن ناحيـة أخـرى . إضافـة إلـى ضـرورة أن تؤكـد علـى منظومـة القيـم والمثـل والأخـلاق والتقاليـد الإسـلامية الصحيحـة .

وعمومـا فـإن كل ذلـك يحقـق مسـألة ثقافيـة واجتماعيـة غايـة في الأهميـة تكمـن في أن اسـتقطاب الأطفـال والنشء الجديـد والشـباب خـلال المراحـل الدراسـية ، يعنـي اسـتقطاب الأم ، وبالتالـي فـإن ذلـك يفضـي إلـى اسـتقطاب العائلـة ، فـالأم كمـا يقـول الشـاعر الكبيـر حافـظ إبراهيـم مدرسـة إذا أعددتهـا أعـددت شـعباً طيـب الأعـراق . والأسـرة بالطبـع هـي اللبنـة الأساسـية في كل المجتمعـات .

ومـن بـاب آخر لابـد مـن وضـع مـواد دراسـية وتدريبيـة عسـكرية وأمنيـة في المراحـل الدراسـية المتقدمـة ذات صلـة بالدفـاع المدنـي والسـلامة الوطنيـة وغيرهـا ، حيـث إنهـا تسـهم كذلـك في تعزيـز مبـدأ الانتمـاء الوطنـي . ويمكـن في هـذا الصـدد إشـراك المؤسسـة العسـكرية والأمنيـة في وضـع البرامـج الدراسـية والتدريبيـة اللازمـة لتغطيـة هـذا الاتجـاه .

أمـا الدراسـة الجامعيـة فإنهـا تعتبـر الحاضنـة الأكثـر نشـاطاً لتنميـة قيـم الانتمـاء الوطنـي مـن خـلال مـا يمكـن أن توفـره للطلبـة مـن مسـتلزمات علميـة وتقنيـة حديثـة وثقافـة واعيـة وسـليمة حـول مفاهيـم العدالـة والمسـاواة والديمقراطيـة والتحديـث والاطـلاع علـى تجارب الأمم التـي قطعـت شـوطاً متقدمـاً في التقـدم العلمـي والاجتماعـي والاقتصـادي .

وفضـلا علـى ذلـك فـإن الشـباب الجامعـي باعتبارهـم ينتمـون إلـى نظـام تعليمـي متقـدم ، ويتهيئـون لشـغل مكانـة اجتماعيـة معينـة تفـرض عليهـم إدراكاً أكبـر لمختلـف مـا يحـدث في المجتمـع المحيـط بهـم ، ومـن ثـم فـإن البيئـة الثقافيـة للطالـب الجامعـي إضافـة إلـى الشـعور بالـذات مـن خـلال مكانـة يتطلـع إليهـا ، تشـكل عامـلاً مهمـاً في تحديـد مسـؤوليات التعليـم العالـي في تنميـة قيـم المواطنـة الحقـة .

فالجامعـة بـكل مـا فيهـا مـن طـلاب ، هيئـات تدريـس ، مناهـج دراسـية ، وأنشـطة طلابيـة ، تشـكل وضعـاً مميـزاً لمنـاخ تعمـل كل موجهاتـه لتنميـة الانتمـاء الوطنـي . وبالطبـع فـإن مجتمـع التعليـم العالـي يسـهم في تعزيـز قيـم الانتمـاء الوطنـي لـدى الأجيـال الجديـدة بعـد تخرجهـم وانخراطهـم في سـوق العمـل .

ولـذا لابـد مـن الاهتمـام الواسـع بالتركيـز في البرامـج والمناهـج والأنشـطة الدراسـية الجامعيـة علـى مبـدأ الانتمـاء الوطنـي وسـبل تعزيـزه . وهـذا يتطلـب مـن وزارات التعليـم العالـي إعـداد ورقـة خاصـة في هـذا المجـال وفقـاً لرؤيـة

كل وزارة مستندة في ذلك إلى واقع المجتمع وإلى متطلبات الإعداد والتأهيل العلمي والوطني بحيث تدخل مادة التربية الوطنية كمادة رئيسية في كافة الكليات والمعاهد دون استثناء، وعدم الركون إلى التبرير بأن عدد الساعات الدراسية الجامعية المنهجية المعتمدة لا تكفي لإدخال مثل هذه الموضوعات.

فالوطن وتنمية ثقافة الانتماء له يتقدم بكل المعايير على الثقافة العلمية التخصصية بالرغم من أهمية الأخيرة في بناء الوطن والارتقاء به وتفعيل تنميته الاقتصادية والاجتماعية والعلمية. فالجامعة تحتل المكانة المحورية بين أهم وسائل تقديم المعرفة العلمية وتفهم الثقافة العامة. فهي التي تضطلع بإعداد أكثر فئات المجتمع فاعلية وقدرة على الحركة، وهم الشباب المتعلم بما يملكونه من مهارات وقدرات، وبما لديهم من قيم واتجاهات، ومن ثم تعاظم الدور الذي يمكن أن يلعبوه في المجتمع وفي الإسهام ببناء الوطن.

ثالثاً: دور المؤسسة الثقافية والإعلامية:

لقد عاشت المجتمعات في السابق محافظة على ثقافتها وتقاليدها إلى حد كبير دون أن تطرأ عليها سوى تغييرات نسبية بسيطة فرضتها تطورات المجتمع، حيث لم تكن وسائل المواصلات ووسائط الاتصال والإعلام قد ارتقت بعد إلى الحد الذي يسمح بالتواصل الثقافي الذي نشهده اليوم، مثلما كانت القدرة على السفر محدودة ومرتبطة بالتجارة إلى حد كبير في وقت كانت فيه وسائل التنقل بسيطة. (أبو قودة ص 34).

أما العصر الراهن فقد شهد التطور الكبير في التقنية الحديثة والإعلام الفضائي الذي أدى إلى التواصل بل إلى التأثير الثقافي الوافد والمعاكس في نفوس الجيل الجديد، فأضحى أمراً واقعاً وملموساً بعد أن أصبح تدفق المعلومات سمة العصر الذي نعيش فيه. وهكذا أضحت عوامل التغيير الثقافي بفعل امتصاص الثقافات الأخرى والتأثر بها من المسلمات الحياتية في عالمنا المعاصر. يقابل ذلك وللأسف الشديد الضعف الواضح في الإعلام العربي في الداخل والخارج، بسبب عدم وضوح الرؤية وضعف التخطيط اللازم لمجابهة التحديات (الفلاييني، ص253).

ولكن من جانب آخر، فبالرغم من الانتشار الواسع للقنوات الفضائية التي سببت بالتأكيد غزواً فكرياً وثقافيًا خطيراً للنشء الجديد من الأطفال والشباب العربي، إلا أن العديد من المجتمعات العربية التي مازالت متماسكة ومتمسكة بالثقافة البيتية والتراثية والقبلية المستقاة من قيم الإسلام الحنيف والتقاليد العربية الأصيلة، لم تخترق بالنمط والشكل والحجم الذي استهدفته العولمة الثقافية الغازية.

وعموماً فإن الإعلام قادر على إيجاد المناعة الفكرية والنفسية في نفوس الشباب حيال الغزو الثقافي الكبير. وهو قادر على ربط الفرد والمجتمع بعقيدته وانتمائه الوطني من خلال الحديث والقصة والمسرحية والتمثيلية والبرامج الموجهة، مثلما يتمكن من ربط الأمة بتاريخها وأمجادها ويشجع أبناءها على أن يحذوا حذو أسلافهم. (يكن، ص25 - ص26) ومن المعروف أن علم الاجتماع ذو ارتباط وثيق بعلم التاريخ وماضي المجتمعات المعاصرة، ذلك الماضي الذي يحمل قيماً ومثلاً ومبادئ محددة (Guy Rocher. P201).

ولذا فإن المسؤولية الأساسية تقع على وسائل الإعلام والثقافة لبذل كل مستطاع من أجل توعية الشباب بخطورة الغزو الثقافي والإعلامي على حياتهم ومستقبل وطنهم، ودفعهم لمقاومته والتمسك بالقيم والتقاليد الأصيلة عبر النشاطات المختلفة والقراءات المفيدة والجادة وشغل أوقات الفراغ بمتابعات تثري المخزون الثقافي وتعمق الانتماء الوطني. ولعل إجراء المسابقات وإقامة الندوات والمحاضرات الثقافية التي تساعد في نشر ثقافة الانتماء واحدة من الأساليب المجدية في هذا المجال (دعبس، ص277).

وبالطبع فإن ترسيخ هذا الاتجاه يفضي إلى ضمان المواطن الصالح الصادق المخلص لوطنه، الذي لا يألو جهداً من أجل الحفاظ على أمنه واستقراره وحفظ أسراره، وكشف أعدائه والمتربصين به، كما أنه لن يبخل بجهد أو فكر من أجل التطوير والبناء والإنتاج والعطاء، ولن يستكثر دمه أو ماله أو روحه من أجل الوطن، فروح الانتماء تشد صاحبها تجاه كل ميادين العطاء والفداء وتدعوه لتلبية نداء الوطن الذي هو نداء الضمير.

ويبرز دور المؤسسة الثقافية أيضا في مراقبة دور الصحافة بما تنشر أحياناً من مقالات أو تقارير أو دراسات قد تسوق بقصد أو بدون قصد لأهداف العولمة الثقافية، وبما يتقاطع مع متطلبات تعزيز الانتماء الوطني.

أما فيما يتعلق بالبرامج التلفازية الخاصة بالأطفال والشباب، فلا بد من أن تنحى بالاتجاه الذي يعزز الانتماء الوطني، بنفس الوقت الذي يجب أن تدمج بين المعاصرة والحداثة التي يراقبها الشباب في القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية وبين الأصالة ومنظومة القيم التي تحكم سلوك المجتمع. وذلك لمجابهة تلك المسلسلات الأجنبية التي تسعى لخرق الفكر العربي الإسلامي لتبديل قناعات الأطفال والشباب بقيمهم وتقاليدهم (يكن، ص38).

وهنا يمكن للمتخصصين في وزارة الإعلام والمسؤولين في القنوات التلفازية والفضائية دراسة هذا الأمر

والوصول إلى أنجع الوسائل والأساليب للوصول إلى هذا الهدف المهم في إطار تعزيز قيم الانتماء الوطني من خلال تحقيق أعلى مستوى من الاتصال ، الذي يعتبر الأساس الذي يقوم عليه الإعلام بهدف توجيه سلوك واتجاهات الأفراد الذين يستقبلون المادة الإعلامية (جبارة ، ص104) . فالاتصال يقوم بعملية التنشئة الاجتماعية ويساعد الفرد على التكيف وإيجاد التوافق بينه وبين تحقيق ذاته في مختلف الميادين وذلك عن طريق تثبيت القيم والمبادئ والاتجاهات والمحافظة عليها (Gerald M.& Julia Wood P . 11) .

ولابد هنا أيضاً لوسائل الإعلام المختلفة أن توائم بين ضرورة الأخذ والاستجابة لمعطيات العصر مع الحرص الشديد على الإبقاء على الهوية الوطنية .

ولذا فإن من الضرورة بمكان أن تؤدي المؤسسة الثقافية والإعلامية رسالتها من خلال تبني مشروع وطني متكامل يركز على الاهتمام ببرامج الأطفال والنشء والشباب في مختلف وسائل الإعلام المرئية والإذاعية والصحفية والنشاطات الثقافية المختلفة ، واعتماد علماء وخبراء وأساتذة علم النفس والاجتماع ليسهموا في إنجاح وتفعيل هذا المشروع .

رابعاً: دور المؤسسة الشبابية:

هناك مقولة تقول : نكسب الشباب لنضمن المستقبل . فالشباب هم عماد المستقبل ، وهم الضمان الأساسي للنهوض الحضاري والتقدم العلمي والتكنولوجي . وهم أهم مصادر الثروة الوطنية . والشباب هم الشريحة الأوسع بالمجتمع ، وهم أصحاب الطاقات والإبداع . ولذا تبرز أهمية الاهتمام بالشباب وتقديم كافة الخدمات والتسهيلات الكفيلة بتفعيل دورهم الريادي .

وهناك حقيقة دنيوية ثابتة تكمن في أن سنة الحياة ترتكز على التغيير المتواصل . فالشباب يشيبون ، والأطفال يضحون شباباً في مرحلة ما . ولذا فإن المرحلة التاريخية التي تنطوي على أحداث وطنية أو قومية جوهرية والتي عاشت أحداثها شريحة الشباب في حينها ، فإن الشريحة الشبابية الجديدة لم تعش تلك الأحداث بحكم المرحلة السنية ، وهذ يستوجب وضع السياقات اللازمة لتوضيح وترسيخ القيم والمبادئ والمثل والتقاليد التي أفرزتها تلك المرحلة التاريخية بعد التعرف على حيثياتها والظروف المحيطة بها ومعطياتها .

ولذا يتطلب الأمر من الوزارات المعنية بالشباب والرياضة تعريف الشباب بالثوابت الوطنية الأساسية مع خلق روح التفاعل معها وتحقيق الالتزام بها

وجعلهـم جميعـا علـى خـط واحـد مـن الفهـم المشـترك لعناصرهـا والتنبـه إلـى خطوطهـا الحمـراء التـي يجـب عـدم اجتيازهـا أو تجاوزهـا مهمـا اختلفـت الأفـكار والـرؤى في المواضيـع الأخـرى .

كمـا ينبغـي رفـع الوعـي الثقـافي في الفكـر الشـبابي وتحقيـق المشـاركة المجتمعيـة في مختلـف المجـالات ، ورصـد وتأجيـج المواهـب وتوطيـد أواصـر التعـاون بـين الشـباب أنفسـهم في مختلـف الأنشـطة والفعاليـات . مـع خلـق قنـوات اتصـال بـين الشـباب ومؤسسـات صنـع القـرار .

أمـا الوسـائل والأسـاليب التـي لابـد مـن التركيـز عليهـا فتعتمـد علـى إنشـاء نـوادٍ ثقافيـة ورياضيـة وترفيهيـة تسـتقطب الشـباب وتعـزز قدراتهـم الذهنيـة والفكريـة والدينيـة والنفسـية والبدنيـة .

كمـا تتطلـب تنظيـم المؤتمـرات المحليـة والدوليـة وورش العمـل والحلقـات النقاشـية ، وإقامـة الـدورات التعليميـة والتدريبيـة في اللغـات والديـن والحاسـوب وغيرهـا .

وكذلـك إجـراء السـباقات الرياضيـة في الألعـاب المنظمـة والسـباقات الشـعرية والفنيـة التـي تدعـم الانتمـاء الوطنـي وتعـزز الارتبـاط بالثوابـت الوطنيـة ومنهـا يمكـن اختيـار شـاعر الشـباب في مسـابقة سـنوية تجـرى علـى أن تنحصـر موضوعـات المسـابقة علـى تعزيـز مبـدأ الانتمـاء الوطنـي . فضـلاً عـن تحقيـق المشـاركات الشـعبية الوطنيـة في مجـالات مختلفـة كالمشـاركة في حمـلات عمـل شـبابي لبنـاء مـدن أو أحيـاء سـكنية ، أو المشـاركة الشـبابية في القيـام بأعمـال تشـجير الشـوارع والسـاحات وغيرهـا .

كمـا أن مـن أهـم الوسـائل ضـرورة إنشـاء وتفعيـل معسـكرات التدريـب العسـكري للشـباب والتـي يركـز فيهـا علـى تنميـة اللياقـة البدنيـة وتعزيـز عناصـر الانضبـاط العسـكري والتدريـب علـى اسـتخدام الأسـلحة .

كمـا يتطلـب الأمـر ضـرورة تدريـب الفتيـة والشـباب علـى أعمـال الدفـاع المدنـي بكافـة مسـؤولياته بمـا فيهـا إطفـاء الحرائـق وتقديـم الإسـناد الطبـي مـن خـلال التدريـب علـى الإسـعافات الطبيـة الأوليـة بغيـة اسـتكمال مـا يدرسـه الطلبـة في مراحـل التعليـم الابتدائـي والثانـوي مـن مـواد دراسـية في هـذا المجـال بجوانبهـا التطبيقيـة .

ومـن الأمـور الأخـرى التـي يمكـن التأكيـد عليهـا مـا لـه علاقـة بتفهـم الشـباب لمهـام قـوى الأمـن الداخلـي وتعزيـز العلاقـة معهـم مـن خـلال تدريبهـم علـى بعـض مهـام هـذه القـوى كالإسـهام في تنظيـم المـرور أو حراسـة بعـض المنشـآت الخدميـة .

خامساً: دور المؤسسة الدينية:

يتكامل دور كل من المسجد والبيت والمدرسة ورجال العلم والفكر والتربية والإعلام وخطباء المنابر الذين يشكلون العناصر الأساسية في تنشئة وتنمية الانتماء للوطن وتعزيزه في نفوس المواطنين . ويتميز المسجد عن سائر المؤسسات التربوية والتعليمية في كونه بيت من بيوت الله سبحانه وتعالى ، ولذا فله الدور الفاعل في شتى مناحي الحياة ، سواء كانت عبادات أو معاملات أو أخلاقيات وسلوكيات .

وللمسجد في الإسلام شأن عظيم ، فهو بيت الله الذي يذكر فيه اسمه وفيه تقام الصلاة ، ويلتقي فيه المسلمون فيتعارفون ويتآخون ويتباحثون في شؤونهم . ولعل أهم ما يميز المسجد عن غيره أن المسلم مطالب بالذهاب إلى المسجد بمقتضى إيمانه لأداء الصلوات المفروضة . (الفلاييني ، ص110) وتبرز أهمية دور المسجد في غرس قيم حب الوطن في نفوس المصلين وتربية الأجيال على خدمة الصالح العام من خلال نبذ ثقافة الكراهية وتعزيز ثقافة الوحدة الوطنية بعيداً عن كل المنازعات والمشاحنات التي تؤدي إلى الفرقة ، فالمسجد هو الفنار المرشد والمنار المنير والمنبر الهادي لإعلاء قيم التضامن والتعاون وغرس ثقافة المواطنة . ولذا فإن مهمة المسجد يمكن أن تكتمل عندما يوفق في أداء رسالته الروحية والاجتماعية ويثبت ثقافة الانتماء الوطني ونصرة خياراته من خلال المشاركة الجماعية البناءة والفعلية في كل ما يهم مستقبل الوطن . ومنها معالجة النفوس المريضة التي تخل بالانتماء الوطني وترتكب الجرائم وتزعزع الأمن والاستقرار بالبلاد ، وذلك لأن النفوس المريضة المنحرفة لا يمكن معالجتها إلا بالعلاج الرباني .

وتعتبر المساجد واحدة من أهم مراكز النشاط الحيوية والمراكز الإعلامية التي تتم بها عمليات الاستقطاب والتأثير والتعبئة والإقناع بأهمية التكاتف والتآلف والتعاون المشترك لتقديم المصلحة الوطنية على كل المصالح الفرعية .

ويعتبر المسجد من أهم مؤسسات المجتمع الدينية والتعليمية والتربوية والاجتماعية ، فلقد كان للمسجد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين دور كبير في تعليم وتوجيه وتوعية المسلمين بالأخطار التي تحيط بهم وبيان أسباب الوقاية والعلاج منها ، وتحصينهم ضد كل فكر وافد وشاذ ، وحيث إن المسجد محل ثقة عموم المسلمين ، ويرتادونه بصورة مستمرة ، ويستمعون فيه إلى خطب الجمعة والعيدين والاستسقاء والكسوف ، إضافة إلى المحاضرات والندوات وحلقات تحفيظ القرآن الكريم .

ومما يدل على علوِّ مكانة المسجد في الإسلام ، وعظم منزلته أن الله عز وجل أضاف المساجد إليه إضافةَ

تشريف وتكريم، وأمر بعمارتها العمارة الحسية والمعنوية، ووعد من بنى له مسجداً أن يبني له بيتاً في الجنة. فقال تعالى: (وأَنَّ الْمَساجِدَ للهِ فَلا تدعوا مع اللَّهِ أَحداً) الجن: 18. وقال تعالى: (إنما يعمر مساجد اللَّه من آمن بِاللَّهِ والْيومِ الآخرِ وَأَقَامَ الصلاةَ وآتى الزكَاةَ ولَم يخش إِلاَّ اللَّهَ فَعسى أُولَئِكَ أَنْ يكُونوا مِنَ الْمهتدين) التوبة: 18.

والمساجد هي أحب البقاع إلى الله، وهي المنطلق الأكبر في الدعوة إلى الله عز وجل.

ومما يؤكد أهميتها ومكانتها في الإسلام؛ أن أول عمل قام به النبي –صلى الله عليه وسلم– عند قدومه المدينة هو بناء المسجد، مسجد قباء، ثم المسجد النبوي الشريف في المدينة. ومما يدل على مكانة المسجد وعدم استغناء المسلم عنه، أنه لا يخلو منه حي من الأحياء عند المسلمين. فمن مناراته تعلو أصوات المؤذنين وتتكرر فيه كلمات التوحيد. ثمّ إنّ المسجد في الإسلام ليس مكاناً لإقامة الصلاة فقط، بل هو المدرسة التي تتربى فيها النفوس تربية روحية. وهو المدرسة التي يتعلم فيها المسلمون أمور دينهم ودنياهم، فلقد كان منارة العلم ومأوى العلماء؛ في ساحاته انعقدت حلقات العلم، فكان لذلك أثره في تقدم العلوم والآداب والفنون، وعلى منبره وقف الخلفاء والخطباء البلغاء. وقد حفلت السيرة النبوية، والأحاديث الشريفة بالحديث عن المسجد، فكان داراً للعبادة والقيادة، ومكاناً للقضاء بين الناس، ومركزاً لانطلاق الجيوش ومدرسة للعلم والتعليم، ونادياً للحوار والمذاكرة، واستمر يؤدي مهمته في مختلف العصور. ولذا فمن الواجب على المسلمين اليوم أن يعيدوا للمسجد وظيفته، ومهابته وحيويته، حتى يصبح مصدر إشعاع يرشد فيعلّم، ويهدي فيقوم، ويصلح الفرد، ويحارب الفساد والانحراف والجريمة، ويعزز مفهوم الولاء الوطني.

فاكتساب القيم الروحية من خلال المسجد يسهم في توجيه المواطن ويعزز من قيم الانتماء الوطني وفق تعاليم الدين الإسلامي القائم على السماحة والاعتدال والتصرف اللائق والسلوك القويم في تعامله مع وطنه ومع أبناء هذا الوطن. فالوظيفة الأساسية للمسجد تكمن في إعداد المسلم المتكامل البناء في خلقه وسلوكه وعمله وعبادته، في علاقته بربه، وبنفسه، وبإخوانه المسلمين، وبالناس جميعاً. وهذا يقضي على نوازع الشر والانحراف والجريمة.

وبسبب هذه الأهمية البالغة لدور المسجد، لا بد من وضع خطة عمل مدعمة ببرامج وآليات منظمة لاحتواء المساجد بشكل منهجي وإعادة تأهيلها كرافد مؤثر ومساند لتعزيز الانتماء والولاء الوطني في نفوس أبناء الشعب بعيداً عن الفرقة التي تسببها المذهبية والمناطقية والفئوية والقبلية، مع العمل على تقويض كافة

النشـاطات المعاديـة للمشـروع الوطنـي . ويمكـن أن تتضمـن الخطـة المحـاور التاليـة :

المحـور الأول: إعـداد وتنظيـم قاعـدة بيانـات معلوماتيـة دقيقـة عـن المسـاجد في كافـة أنحـاء الوطـن ولكافـة المسـاجد دون اسـتثناء تتضمـن البيانـات والمعلومـات التاليـة :

- اسم المسجد ، الموقع ، المساحة ، والمرافق الملحقة .
- التراخيص القانونية للمسجد .
- مدى الالتزام بتوجيهات وزارة الأوقاف وأهم المخالفات القانونية إن وجدت .
- الجهات المؤثرة أو المتواجدة في المسجد وأسماء الأشخاص القائمين عليها .
- الجماعات الدينية المسيطرة أو المؤثرة أو المتواجدة في المسجد وأسماء الأشخاص القائمين عليها .
- عناصر ومصادر الدعم والتمويل المالي للمسجد إن وجدت .
- طبيعة الإعمار والبناء والإصلاح والصيانة ومصادر تمويلها .
- حصـر كافـة عناويـن الكتـب التـي تتضمنهـا المكتبـة وإجـراء تفتيـش دوري كل ثلاثـة أشـهر عليهـا لضمـان عـدم اختـراق الكتـب ذات المضامـين المنحرفـة والهدامـة .

المحـور الثانـي: إعـداد وتنظيـم قاعـدة بيانـات معلوماتيـة دقيقـة عـن خطبـاء المسـاجد في كافـة أنحـاء الوطـن تتضمـن البيانـات والمعلومـات التاليـة :

- ملـف خـاص بالخطبـاء المعتدلـين ومـن المشـهود لهـم بالكفـاءة والثقافـة المعاصـرة والقـدرة علـى الإقنـاع والتأثيـر .
- ملف خاص بالخطباء المتشددين ممن لا يمكنهم التخلي عن أفكارهم ، ولا يقتنعون بالرأي الآخر .
- ملـف خـاص بأسـماء وتخصصـات الموظفـين والقائمـين علـى المسـجد وتتضمن(لجنـة المسـجد ، الإمـام المـؤذن ، أمـين المكتبـة ، الفراشـين ، وغيرهـم إن وجـدوا) .
- المستوى الثقافي والقدرة التأثيرية الاجتماعية للخطباء .

- المستوى العلمي والشهادات العلمية للخطباء.
- وفي مجال تفعيل دور المسجد في تعزيز الانتماء الوطني، بأساليب الوعظ والإرشاد المتنوعة لا بد أن تشمل الخطة الأمور التالية:
- العناية بخطبة الجمعة وتوحيد مضامينها وأسلوبها، وتنظيم لقاءات مستمرة ودورات متواصلة للأئمة والخطباء، للنهوض بمستوى الخطبة لتتصف بالموضوعية والإقناع والحكمة والاعتدال.
- وضع خطة مركزية ودقيقة للتعليم والتثقيف في المساجد لتكون مراكز إشعاع لطلاب العلم.
- التركيز على ثقافة حب الوطن والتسامح واحترام الرأي الآخر وطاعة ولي الأمر وفق المنظور الإسلامي في الخطب والمحاضرات التي يتولاها الخطباء داخل المساجد.
- ضرورة توثيق صلة الخطباء بالناس وإقامة العلاقات الاجتماعية معهم للتعرف على أهم القضايا التي تدور بينهم وتحديد أهم السلبيات والمعاناة التي تعتري المجتمع، فالاتصال الشخصي أكثر أثراً وتأثيراً من الخطبة والنصح والتوجيه.
- ضرورة اهتمام الخطباء بتنمية ثقافتهم العامة، والاطلاع على علوم العصر بما يجعلهم أقدر على مواجهة مشاكل الناس.
- تزويد الخطباء بالكتب التي تطلعهم على الأفكار الهدامة الوافدة لتكسبهم القدرة على تحصين الناس من خطرها.
- الاهتمام بالمظهر اللائق للخطيب والواعظ حتى يأخذ مكانه في عقول المستمعين وقلوبهم.
- العناية بمكتبات المساجد وتوفير المراجع والكتب لجذب الشباب إلى القراءة في المسجد، والمتضمنة نشر ثقافة الانتماء الوطني والتسامح والوسطية والاعتدال واحترام الرأي الآخر وطاعة ولي الأمر.
- التزام سبيل الوسطية والاعتدال في تبليغ الدعوة، وفق المنهج الرباني واتباع الأسلوب القرآني القائم على الإثبات والاستدلال والإقناع، والمعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

- الاهتمام بقطاعات المرأة في مجال الوعظ والإرشاد ، لما للمرأة من دور عظيم ورسالة كبيرة في تعزيز مبادئ الانتماء الوطني .

- تعزيز مبدأ الحوار الموضوعي البنّاء في نفوس وسلوك الخطباء والوعاظ ، حيث إنه أسلوب قرآني نبوي ، وحاجة علمية وضرورة فكرية ، بهدف الوصول إلى الحق تعزيزاً للتآلف والتقارب في الخطاب الدعوي . وعدم الاكتفاء بأسلوب الإلقاء والاستماع التقليدي .

ومن الأدوار الأخرى التي ينبغي للمؤسسة الدينية الاضطلاع بها في مجال تعزيز الانتماء الوطني ما يأتي :

- تكثيف البرامج الإسلامية التوجيهية المعتدلة ذات المدلولات الوطنية في الإذاعة والتلفزيون وتنويعها واختيار الأوقات المناسبة لبثها بما يحقق الأهداف المرجوة منها ، مع ضرورة تحرير صفحة دينية أسبوعية في كافة الصحف الرسمية في مجال البناء والانتماء الوطني .

- ضرورة التنسيق مع المؤسسات الثقافية والإعلامية لتوحيد النهج العام لجهود كافة العلماء والخطباء والدعاة والمرشدين والمفكرين والمؤسسات الإعلامية والثقافية بهدف تعزيز الانتماء والولاء الوطني ونبذ كل مظاهر الفرقة والاختلاف .

- إعداد نشرة دورية خاصة بالخطباء والمرشدين تتضمن الدراسات والبحوث والأفكار والأطروحات الخاصة بسبل واتجاهات تعزيز عناصر الانتماء والولاء الوطني .

- عقد الندوات الدورية بمشاركة الخطباء والمرشدين بين الحين والآخر لتوحيد نهج العمل العام .

- عقد الدورات التعريفية والتطويرية لجميع الخطباء والمرشدين لنفس الغرض .

- العمل على رفع المستوى المعيشي والاجتماعي للخطباء .

سادساً: دور المؤسسة العسكرية والأمنية:

القوات المسلحة والأمن هي قوّة الوطن ومبدأ صموده ، وهي تتقدم طليعة المؤسسات الوطنية في تطبيق مبادئ العدالة والمساواة بين صفوفها ، هذه المؤسسة التي انبثقت من الشعب وضمت في ثناياها أبناء الوطن من مختلف الشرائح والمناطق ، حيث يشكلون في لقائهم وتآلفهم واندماجهم في صفوفها نموذجاً حياً وفاعلاً للوحدة الوطنية تتساوى فيها الحقوق والواجبات ويتعزز فيها الانتماء للوطن . ويأتي دور هذه المؤسسة

الكبرى في ترسيخ هذا الانتماء من خلال تحقيق التفاعل الحي والتواصل المتين بين أبنائها من جهة، وبين أبنائها وعموم أبناء الشعب من جهة أخرى.

وتعتبر التقاليد العسكرية بمثابة الصفات والتقاليد التي تميز المجتمع العسكري عن غيره من المجتمعات وهي عبارة عن سلوكيات وموروثات تنتقل من مجتمع لآخر وتحكمها عادات، القصد منها تحقيق أعلى درجات الضبط والربط والانتماء الوطني. (الراوي، 2011م، ص11).

إن حياة العسكري ورجل الأمن داخل معسكره هي حياة الجهاد المستمر الذي لا يلين ولا يستكين، فهو مشروع دائم للاستشهاد من أجل بقاء الوطن عزيزاً مستقراً، ومن أجل ضمان عزته وأمنه والحفاظ على استقلاله وتاريخه وتراثه وضمان مستقبل أطفاله.

ومن هنا لابد لأبناء الشعب عموماً أن يقدروا حجم المسؤولية الملقاة على عاتق هذا البطل الذي يؤدي بكل جوارحه تلك المهام الجسام، كما لا بد من أن يقف الجميع إلى جانبه لما يبذله من قساوة وشدة وضغط وسهر، فهو يمثل في كل دول العالم الرمزية الأعلى والأغلى، بل الخط الأحمر الذي لا يجوز تجاوزه أو اجتيازه.

فالقوات المسلحة بما تشمله من قوى الأمن هي العين الساهرة في حماية الوطن. وهي رمز سيادة الأمة وعنوان استقلالها، وتكمن مهمتها في تأمين سلامة كيان الدولة وحماية سيادتها. ومن هذا الدور تستمد الجندية سمو رسالتها وشرف هالتها القدسية، فهي التي تتقدم طليعة المؤسسات التي تطبق مبادئ العدالة والمساواة في صفوفها. وهنا لا بد للقادة من أن يتذكروا دوما أن جميع منتسبيهم متساوون أمام القانون وهم يحظون بفرص التكريم والاحترام والتقدير والثناء والترقية تبعاً لكفاءاتهم وإخلاصهم وليس تبعاً لمعايير أخرى.

المؤسسة العسكرية والأمنية هي إحدى أهم المؤسسات التي يتكون منها البناء الاجتماعي في كافة المجتمعات. وتتفاعل النظم العسكرية والأمنية مع بقية النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لتحقيق أهداف المجتمع. فالاستراتيجية الوطنية العليا تتفرع إلى الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الأمنية. وبالرغم من أن لكل استراتيجية فنونها وأساليبها ووسائلها وسبل عملها وأهدافها الخاصة التي تخدم الأهداف والمصالح الوطنية العليا، إلا أن الدور الذي تتولاه المؤسسة العسكرية والأمنية في مجالات الدفاع والأمن يعطيها من الخصوصية والأهمية والقدرات ما يفوق تلك التي تعطى لسائر

المؤسسـات الأخـرى في البـلاد خاصـة في ظـروف التحديـات والتهديـدات الخارجيـة والداخليـة التـي تتسـبب في خلـق عـدم الاسـتقرار ، لأن الفوضـى تتسـبب في تعطيـل أو تقليـل عمـل المؤسسـات الأخـرى .

ومـن جهـة أخـرى فـإن الدسـتور يعتبـر المنهـج العـام الـذي يقـرر نظـام الحكـم وسـبل إدارة الدولـة وقيـادة المجتمـع بمـا يحقـق طموحـات الشـعب ويضمـن العيـش الرغيـد والأمـن المطلـوب واتجاهـات التنميـة الاجتماعيـة والاقتصاديـة التـي تسـهم في ازدهـار البـلاد . وتسـتمد كافـة القوانـين شـرعيتها واتجاهاتهـا وأهدافهـا مـن الدسـتور . وتـوكل مهمـة حمايـة الدسـتور في كل بلـد إلـى المؤسسـة العسـكرية والأمنيـة ، إضافـة إلـى المهمـة الأساسـية لهـذه المؤسسـة الوطنيـة الكبـرى في حمايـة حـدود البـلاد والمحافظـة علـى سـيادتها وحريتهـا مـن كل مغتصـب ، وكـذا حمايـة الأمـن الداخلـي وضمـان الاسـتقرار في البـلاد .

فالقـوات المسـلحة والأمـن هـي الحاميـة الشـرعية الدسـتورية وهـي ملزمـة بالدفـاع عنهـا وعـن مؤسسـاتها الشـرعية ، وبـذا فإنهـا تكـون في موقـع الدفـاع عـن الشـعب لأن هـذه الصيغـة منبثقـة مـن إرادة الشـعب .

يعتقـد الكثيـر مـن المفكريـن أن القـوات المسـلحة والأمـن تتمتـع بقدسـية خاصـة في جميـع المجتمعـات لمـا تحويـه مـن النخبـة المنتقـاة مـن كل الشـرائح والمناطـق والمذاهـب والأعـراق التـي تكـوِّن فسيفسـاء المجتمـع . وهـي بذلـك تمثـل النمـوذج المصغـر للوحـدة الوطنيـة . وكذلـك فـإن هـذه القدسـية تأتـي مـن طبيعـة الرسـالة السـامية التـي يتمسـك بهـا أبنـاء هـذه المؤسسـة الوطنيـة الكبـرى المتمثلـة في اسـتعدادهم الدائـم للتضحيـة دفاعـاً عـن الوطـن . وتأتـي هـذه القدسـية أيضـاً مـن طبيعـة العمـل العسـكري والأمنـي ومـن طبيعـة العلاقـات التـي تسـود بـين منتسـبي هـذه المؤسسـة داخـل معسـكراتهم ، ومـن السـمات والخصـال التـي يتمسـكون بهـا . فهـم أهـل الشـجاعة والإيثـار والتعـاون وحـب العمـل الجماعـي وروح الفريـق الواحـد ، وهـم أهـل النخـوة والرجولـة التـي يجسـدونها في سـلوكهم اليومـي ، والتـي لا يمكـن أن تجدهـا بهـذه الكيفيـة والصـورة الرائعـة في باقـي مؤسسـات الدولـة التـي تقـدم الخدمـات المختلفـة للمجتمـع . فالجنديـة هـي أكبـر مـن وظيفـة أو وسـيلة لكسـب العيـش ، إنمـا هـي رمـز لسـمو النفـس في شـرف التعـاون والحـرص والاندفـاع لتحقيـق الأهـداف الوطنيـة الأساسـية في الـذود عـن الوطـن والشـعب ومقومـات وجودهمـا بعيـداً عـن المنافـع الذاتيـة والمطامـح الشـخصية . فمؤسسـة القـوات المسـلحة والأمـن تجمـع أبنـاء المجتمـع علـى اختـلاف مناطقهـم وانتماءاتهـم وتصهرهـم في وحـدة تسـتند إلـى القيـم الكريمـة والمبـادئ القويمـة والمثـل السـامية والأهـداف المشـتركة لأبنـاء الوطـن الواحـد ، وهـي في ذلـك تعتمـد التربيـة القاسـية والنظـام القـوي لتجعـل مـن المنضويـن تحـت لوائهـا مثـالاً للرجولـة ، فيتمكنـون مـن الحفـاظ علـى شـرف الوطـن وكرامتـه ، وهـم الذيـن نـذروا أنفسـهم بموجـب القسـم الـذي أدوه حـال انخراطهـم بهـا لـكل معانـي الفـداء

والتضحيـة .

ويشـكل الانتمـاء الوطـني مبـدأ أساسـياً مـن مبـادئ التنشـئة الوطنيـة للعسـكريين . فالإيمـان بـأن الوطـن لجميـع أبنائـه ينبـع مـن الإيمـان بتسـاوي الجميـع في الحقـوق والواجبـات . فأبنـاء الوطـن الواحـد الذيـن عاشـوا عبر حقب التاريـخ العريـق والمشـرف علـى أرض واحـدة بتآلـف وتلاحـم وطنـي كان قـد جمعتهـم الإرادة الواحـدة المرتكـزة علـى بنـاء الوطـن والدفـاع عـن منجزاتـه . فـلا تفرقـة مذهبيـة ولا قبليـة ولا مناطقيـة توقـف مسـيرة هـذا البنـاء القـوي ، ولا مشـاحنات تعتـري منظومـة الدفـاع عـن الوطـن ومكتسـبات الشـعب .

وبالطبـع فـإن تحقيـق الأمـن والاسـتقرار هـو مـن المسـؤوليات الأساسـية للمؤسسـة العسـكرية والأمنيـة ، وأن تحقيـق الأمـن والاسـتقرار في البـلاد يفضـي إلـى تعميـق مبـدأ الانتمـاء الوطـني . وعمومـاً فـإن الأمـن لا يتحقـق بمجـرد ضمـان أمـن الإنسـان بالحفـاظ علـى حياتـه فحسـب ، فهـو كذلـك يحتـاج إلـى الأمـن علـى عقيدتـه التـي يؤمـن بهـا ، وعلـى هويتـه الفكريـة والثقافيـة ، وعلـى مـوارد حياتـه المختلفـة (الـراوي ، 2008م ، ص61) .

وللتنشـئة العسـكرية دور كبيـر في تأهيـل المقاتلـين في المؤسسـة العسـكرية وقـوى الأمـن الداخلـي للقيـام بالمهـام الموكلـة إليهم . ويعتبر التدريـب مـن أهـم مستلزمات هـذه التنشـئة بمـا تـزود بـه أبنـاء هـذه المؤسسـة الوطنيـة الكبـرى مـن معـارف ومهـارات وقـدرات . لكـن هـذه التنشـئة لا تكتمـل إلا بتضمينهـا الأبعـاد الخلقيـة والمعنويـة . فالمهـارات والمعـارف قـد تصنـع مقاتـلاً جيـداً لكنهـا لا تكفـي لإعـداد المقاتـل العسـكري ورجـل الأمـن الملتـزم بولائـه المطلـق لمؤسسـته ووطنـه ، والمسـتعد لبلـوغ أقصـى درجـات التضحيـة في سـبيل الدفـاع عنـه .

وتسـتمد القـوات المسـلحة والأمـن ركائـز تنشـئة وترسـيخ وتأجيـج مبـدأ الانتمـاء الوطـني في نفـوس أبنائهـا مـن القيـم العليـا للمجتمـع ، فالمجتمـع العسـكري وإن كان متمايـزاً عـن المجتمـع المدنـي متمتعـاً بخصوصيـات عـدة فهـو في الوقـت نفسـه يتكامـل مـع هـذا المجتمـع ويتفاعـل معـه ويعمـل انطلاقـاً مـن القيـم العليـا التـي تسـوده والمبـادئ التـي تكرسـها قوانينـه وأعرافـه ومؤسسـاته . وكذلـك تسـتمد القـوات المسـلحة والأمـن ركائـز هذه التنشـئة مـن خصوصيـة هـذه المؤسسـة التـي تنبـع مـن قدسـية دورهـا الوطنـي ومـن خصائصهـا القيميـة الكبيـرة .

وتعتبـر السياسـة التوجيهيـة والمعنويـة والفكريـة والتثقيفيـة التـي تنتهجهـا قيـادات القـوات المسـلحة والأمـن واحـدة مـن أساسـيات ترسـيخ مفهـوم الانتمـاء الوطـني مـن خـلال الانتمـاء للمؤسسـة العسـكرية والأمنيـة . كمـا يلعـب القـادة بمختلـف مسـتويات القيـادة دوراً محوريـاً هامـاً في هـذه التنشـئة . فمادتهـم الأساسـية تتمثـل في منتسـبيهم الذيـن يأتـون مـن مختلـف الشـرائح والمناطـق والقبائـل والعوائـل ، ومـن مختلـف المذاهـب والأطيـاف .

هـؤلاء الذيـن يشـكلون وحداتهـم العسـكرية والأمنيـة بالرغـم مـن الاختلافـات العديـدة في تنشـئتهم البيئيـة والتعليميـة والثقافيـة والبدنيـة والاجتماعيـة . فمنهـم مـن يحمـل الشـهادة الجامعيـة ومنهـم الأقـل مـن ذلـك ومنهـم مـن يجيـد السـباحة والرمايـة ومنهـم مـن غيـر ذلـك ، ومنهـم مـن هـو متعمـق في الالتـزام الدينـي ومنهـم الأقـل مـن ذلـك ، ومنهـم مـن يحمـل الكثيـر مـن المعـارف الأدبيـة والعلميـة ومنهـم مـن هـو عكـس ذلـك ، ومنهـم مـن يحمـل مواهـب متنوعـة ومنهـم مـن لا يحمـل أيـة موهبـة .

وهنـا يبـرز الـدور التأثيـري للقـادة في صقـل شـخصيات وحداتهـم العسـكرية والأمنيـة وجعلهـم في بوتقـة واحـدة مـن خـلال عناصـر التدريـب والتأهيـل والعلاقـات الإنسـانية وتلمـس همومهـم ومتابعـة شـؤونهم وخلـق الشـخصية العسـكرية أو الأمنيـة الواحـدة الموحـدة لـدى الجميـع بغـض النظـر عـن خصائصهـم الشـخصية والذاتيـة . والتأكيـد بـأن المؤسسـة العسـكرية والأمنيـة التـي ينتمـون إليهـا هـي الحاضنـة الأساسـية التـي يولونهـا كل ولائهـم . وبالتالـي فـإن الانتمـاء لهـذه المؤسسـة والـولاء لهـا يمثـل أعلـى درجـات الانتمـاء الوطنـي باعتبـار أن هـذه المؤسسـة الوطنيـة الكبـرى هـي القبيلـة الكبـرى للشـعب برمتـه .

ومـن بـاب آخـر فـإن المهمـة الأساسـية الأخـرى التـي تقـع علـى القـادة تكمـن في إقامـة جسـور التواصـل وإقامـة العلاقـات الجيـدة والمتينـة مـع المواطنـين ضمـن المناطـق الجغرافيـة لمعسـكراتهم ، وبذلـك فهـم يسـهمون في بنـاء الإحسـاس الحقيقـي بالانتمـاء الوطنـي والهويـة المشـتركة . وهـم بذلـك يلعبـون أيضـا دوراً مهمـاً في بنـاء الثقـة بالدولـة التـي تعتبـر القـوات المسـلحة والأمـن مـن أهـم ركائـز وجودهـا .

هـذا مـن جانـب ، ومـن جانـب آخـر فـإن الصـورة الإيجابيـة للمؤسسـة العسـكرية والأمـن ستترسـخ في أذهـان المواطنـين مـن خـلال هـذه الممارسـة الفاعلـة للقـادة مـع أبنـاء الشـعب لتجعلهـم يلتفـون حـول هـذه المؤسسـة الوطنيـة الكبـرى ، مـا يدعـم معنوياتهـا ويسـهم في تنفيـذ مهامهـا بكفـاءة وفعاليـة . كمـا أن هـذه الصـورة تسـهم في تفعيـل إمكاناتهـا علـى جـذب القـدرات والكفـاءات الموجـودة في جيـل الشـباب إلـى صفوفهـا .

فالضـرورة إذاً تقضـي للقـادة بتأمـين أوثـق العلاقـات بالمواطنـين والتفاعـل معهـم خصوصـاً الأعيـان ووجـوه المجتمـع وكـذا جيـل الشـباب منهـم ، والعمـل علـى ترسـيخ ثقتهـم بالوطـن ومسـتقبله وبالقـوات المسـلحة والأمـن . وفي ذلـك تترسـخ صـورة المؤسسـة العسـكرية والأمنيـة كمؤسسـة وطنيـة تعمـل للمصلحـة العليـا وبالتالـي فهـي لـكل أبنـاء الوطـن جميعهـم وليسـت لفئـة دون سـواها ، كمـا أنهـا في موقـع حمايـة الإرادة الشـعبية مـن خـلال حمايتهـا للدسـتور والمؤسسـات الشـرعية .

نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

إن أساليب التنشئة الأسرية إن لم تكن موجهة توجيهاً سليماً فإنها تتسبب في حدوث مشكلات نفسية لدى الأطفال، وبالتالي يصعب تحقيق الهدف الأساسي في تنشئة الانتماء الوطني في نفوس الأبناء.

إذا افتقرت المواد الدراسية العلمية والإنسانية في مختلف المراحل الدراسية كالعلوم والفيزياء والرياضيات والكيمياء واللغة الإنكليزية إلى الأمثلة والنماذج والوقائع والتجارب الوطنية التي يمكن من خلالها تعزيز قيم الانتماء الوطني، وعدم مشاركة ذوي الاختصاص بالجوانب النفسية والاجتماعية والوطنية في وضع المناهج الدراسية لهذه المواد الدراسية، فإنها سوف لن تسهم في عملية البناء والانتماء الوطني.

إن منظومة انتقاء وتأهيل المعلمين والمدرسين المتخصصين بكل من مادتي التربية الوطنية والدينية، إن لم تخضع إلى معايير دقيقة، وإن لم يتم تقييم انتمائهم وقدراتهم وحرصهم الأكيد والشديد في إيصال المقرر الدراسي بالشكل المطلوب إلى أذهان ونفوس الطلبة، فإن وجودهم على رأس العملية التربوية الوطنية سيكون سلبياً بدلاً من تحقيق الهدف السامي من هذه المقررات الدراسية لتعزيز الانتماء الوطني. فالمواد الدراسية وإن كانت ذات مدلولات معمقة ومهمة، إلاَّ أنها تبقى مقصورة إن لم تجد المعلم والمدرس والموجه الذي يتناولها كما يجب وكما هو مطلوب.

بالرغم من طبيعة وحجم الهجمة الشرسة للعولمة الثقافية، فإنه لم يتم اتخاذ الإجراءات العملية والسريعة في عموم بلدان الوطن العربي لتغيير المناهج الدراسية بما ينسجم وطبيعة هذه الهجمة وتأثيراتها السلبية على منظومة القيم بشكل عام وعلى مبدأ الانتماء الوطني بشكل خاص.

بالرغم من أن الجامعة بكل ما فيها من طلاب، هيئات تدريس، مناهج دراسية، وأنشطة طلابية، تشكل وضعاً مميزاً لمناخ تعمل كل موجهاته لتنمية الانتماء الوطني. إلا أنها تفتقر إلى المقررات الدراسية الوطنية والدينية.

بالرغم من الانتشار الواسع للقنوات الفضائية التي سببت بالتأكيد غزواً فكرياً وثقافياً خطيراً للنشء الجديد من الأطفال والشباب العربي، إلا أن العديد من المجتمعات العربية التي مازالت متماسكة ومتمسكة بالثقافة البيتية والتراثية والقبلية المستقاة من قيم الإسلام الحنيف والتقاليد العربية الأصيلة، لم تخترق بالنمط

والشكل والحجم الذي استهدفته العولمة الثقافية الغازية .

تلعب مؤسسات الثقافة والإعلام الدور الأكثر تأثيراً في تنمية الانتماء الوطني إذا ما تمكنت من وضع برامج توعوية وثقافية متنوعة تنسجم وإمكانية استقطاب الأطفال والشباب إليها أولاً ، وتكون قادرة على مواجهة الإعلام المضاد لمنظومة القيم والمثل السائدة في المجتمع .

إن من أهم الصعوبات التي تعتري تنشئة وتعزيز الانتماء الوطني لدى الشباب يكمن في ازدياد البطالة وعدم الاكتراث بالوضع المعاشي للمواطنين فضلاً على عدم توفر أو محدودية مراكز الشباب والأندية الثقافية والرياضية والترفيهية التي تسهم في زيادة الروابط والتماسك بين الشباب من ناحية وتعزيز قيم الانتماء الوطني في نفوسهم من ناحية أخرى .

يلعب المسجد دوراً تأثيرياً كبيراً في تعزيز قيم الانتماء الوطني خاصة من خلال خطب الجمعة ، لا سيما إذا ما تم انتقاء الخطباء بالصيغة السليمة لتأدية هذا الدور ، وإذا ما تم تأهيلهم وإصلاح أوضاعهم المعاشية للتفرغ لهذه المهمة الهامة .

إن القوات المسلحة والأمن هي المؤسسة الوطنية الكبرى التي يصنع فيها الرجال بما يحملونه من أعلى مستويات الانتماء الوطني ، مما يستوجب توظيف إمكانياتها لتفعيل دور الشباب بشكل خاص في تعزيز هذه القيم في نفوسهم .

التوصيات

توصي الدراسة بما يأتي :

لما كانت الأم تشكل العنصر الحيوي في تربية الأطفال وغرس قيم الانتماء الوطني في نفوسهم ضمن الأسرة فإنه ينبغي أن يلعب الإعلام المرئي الدور الكبير في وضع البرامج الثقافية والتوعوية والترفيهية الخاصة بالمرأة بما يضمن استقطابها لمتابعة هذه البرامج وبالتالي تحقيق التأثير المطلوب لمجابهة الانعكاسات السلبية للعولمة من ناحية ، وتحقيق التأثير المطلوب في غرس قيم الانتماء الوطني من ناحية أخرى .

ومن باب آخر فإن برامج الأطفال وخاصة الرسوم المتحركة منها لها قدرة كبيرة على توجيه منظومة السلوك والأخلاق للأطفال ، مما يستوجب إعطاء هذا الأمر الأهمية المطلوبة . وبالطبع فإن الفيلم والمسرحية والمسلسل التلفازي والتمثيلية وبرامج التسلية والمسابقات الثقافية وبرامج كشف المواهب وغيرها ، كلها ينبغي أن تستهدف في مضامينها تعزيز الانتماء الوطني .

إن حجم ونمط واتجاه الغزو الثقافي الكبير والخطير والمتسارع بوسائله المتنوعة وأساليبه المختلفة يستوجب من المؤسسة التربوية والتعليمية ضرورة مراقبة ومتابعة التعديل والتبديل المتواصل لعموم المناهج الدراسية بما يسهم وإمكانية مجابهة هذا التحدي من ناحية ، وبما يعزز قيم الانتماء الوطني في نفوس الطلبة من ناحية أخرى . ولعل أهم ما يجب التركيز عليه في المقررات الدراسية لمادتي التربية الدينية والتربية الوطنية هو تكثيف الزيارات لمواقع الرموز الوطنية والمتاحف والمصانع ، وإدخالها ضمن الساعات الدراسية المقررة .

يمثل الطلبة ابتداءً من رياض الأطفال وحتى المرحلة الجامعية الشريحة المستهدفة من قبل العولمة الثقافية في سعيها لانتزاع قيم الانتماء الديني والوطني والأخلاقي من نفوسهم ، ولذا لابد من العمل على جعل مادتي التربية الوطنية والتربية الدينية متواصلة في كافة المراحل الدراسية بما فيها المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسة الثانوية . مع ضرورة اعتبارها من المواد الدراسية الأساسية المتقدمة على غيرها من المقررات الدراسية الأخرى .

إن الأمر يستوجب الاهتمام البالغ بمنظومة انتقاء وتأهيل وتقييم معلمي ومدرسي مادتي التربية الوطنية والدينية وفق معايير واضحة وسليمة تضمن كفاءتهم ومقدرتهم على إيصال المادة العلمية إلى الطلبة وفقاً لأهدافها المرسومة . ويمكن من باب التحفيز بسبب المخاطر الجمة للعولمة وتأثيراتها السلبية إعطاء هذه

الشريحة من المعلمين والمدرسين مزايا وحوافز مادية ومعنوية خاصة .

توصي الدراسة بتبني مشروع وطني متكامل يركز على الاهتمام ببرامج الأطفال والنشء والشباب في مختلف وسائل الإعلام التلفازية والإذاعية والصحفية والنشاطات الثقافية المختلفة ، واعتماد علماء وخبراء وأساتذة علم النفس والاجتماع ليسهموا في إنجاح وتفعيل هذا المشروع .

تلعب المؤسسات الشبابية والرياضية الرسمية دوراً هاماً في تعزيز قيم الانتماء الوطني من خلال منتدياتها الثقافية والرياضية والشبابية التي يتوجب عليها وضع برنامج مركزي تنمي من خلاله قيم الانتماء الوطني من خلال المسابقات والأمسيات والمحاضرات والندوات والمؤتمرات الثقافية ومن خلال النشاطات والمسابقات الرياضية المختلفة لقضاء أوقات فراغ الشباب من ناحية وخلق التماسك الاجتماعي بينهم من ناحية أخرى .

توصي الدراسة بالاهتمام البالغ بخطباء المساجد لما لهم من تأثير فاعل على أفكار وضمائر ونفوس الشباب من المصلين حيث يتقبلون ما يستمعون إليه وخاصة في صلاة الجمعة . وينبغي متابعة وحصر الخطباء والتأكد من كونهم من المتفقهين والبعيدين عن الغلو والتطرف ، ومن القادرين على الإقناع في خطابهم الديني لغرس وتأجيج حب الوطن والدفاع عنه . كما يجب الاهتمام بوضعهم المعاشي ليتفرغوا إلى هذه المهمة الهامة دون التفكير بأمور وصعوبات الحياة .

توصي الدراسة بالاستفادة التامة من مؤسسة القوات المسلحة والأمن في وضع برامج تدريبية عسكرية وأمنية خاصة وما يخص أعمال الدفاع المدني لعموم المراحل الدراسية الثانوية والجامعية كمقررات دراسية أو خلال العطل الدراسية ، حيث يسهم ذلك في تعزيز قيم الانتماء الوطني .

وأخيرا توصي الدراسة بضرورة تكاتف كافة مؤسسات الدولة التربوية والتعليمية والثقافية والإعلامية والشبابية والدينية المعنية لترسيخ مبدأ الانتماء الوطني على أنه وبالرغم من أن الغرب قد تقدم كثيراً في التطور العلمي والتقني والعمراني والإداري ، وأن العرب في هذه المرحلة المظلمة من تاريخهم يبتعدون بهامش كبير عما وصل إليه الغرب ، إلا أن الله عز وجل عندما أنزل القران الكريم باللغة العربية وجاء بالخاتم من العرب صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك وحده يكفي بالتفاؤل بأن هذه الأمة قادرة على النهوض من جديد. وأن الانتماء للوطن والأمة هو شرف كبير للمواطن العربي في شتى أقطار هذه الأمة التي أعزها الله بالإسلام .

مراجع الدراسة

المراجع العربية:

- إبراهيم، عبد الحميد صفوت، أثر العوامل الشخصية في ظاهرة التماسك الاجتماعي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، مصر، 1977م.
- ابن منظور، لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ج3، دار لسان العرب بيروت، (د. ت).
- أبو بكر، مصطفى محمود، بناء الهوية وترسيخ الانتماء، الدار الجامعية، الإسكندرية، (د. ت).
- أبو قودة، محمد عطية، دور الإعلام في تدعيم الانتماء الوطني لدى الطلبة الجامعيين في محافظات غزة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، 2006م.
- إسماعيل، أحمد السيد، الفروق في إساءة المعاملة وبعض متغيرات الشخصية بين الأطفال المحرومين من أسرهم وغير المحرومين من تلاميذ المدارس المتوسطة بمكة المكرمة، مجلة دراسات نفسية، المجلد الحادي عشر، العدد الثاني، القاهرة، 2003م.
- بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1982م.
- دعبس، يسري، ثقافة الانتماء وكيفية تحقيقها، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، البيطاش سنتر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر 2008م.
- جبارة، عطية جبارة، علم اجتماع الإعلام، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1985م.
- خوري، توما جورج، المناهج التربوية، مرتكزاتها، تطويرها، وتطبيقاتها، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت 1983م.
- الدخيل، عبد العزيز، سلوك السلوك، مقدمة في أسس التحليل السلوكي ونماذج من تطبيقاته، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.
- الدمرداش، فرح زهران، عالمية الإسلام في تكوين الأسرة، مجلد العولمة وموقف الفكر الإسلامي منها، الدار المصرية، الإسكندرية 2000م.
- الراوي، حازم عبد القهار، أضواء على العقيدة العسكرية والأمنية الإسلامية، دائرة التوجيه المعنوي، اليمن، 2008م.
- الراوي، حازم عبد القهار، التقاليد العسكرية وقواعد السلوك الاجتماعي، دائرة التوجيه المعنوي، اليمن، 2011م.
- الرفاعي، عبد العزيز، إساءة معاملة الطفل وعلاقتها ببعض المشكلات النفسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس القاهرة، 1994م.
- الشميري، سمير هايل، سوسيولوجيا انحراف الأطفال في اليمن، مركز عبادي للنشر، صنعاء، 2000م، ص55.
- عبد المنعم، منصور أحمد، دور القيم في تعليم الجغرافيا في المدارس الثانوية، مجلة كلية التربية، العدد(2)، جامعة الزقازيق، مصر 1986م.
- علوان، عبد الله ناصح، الشباب المسلم في مواجهة التحديات، دار القلم، دمشق، 1994م.
- فراج، فرغلي، إبراهيم، عبد الستار، السلوك الإنساني، دار الكتب الجامعية، القاهرة، مصر، 1974م.
- الفلاييني، محمد موفق، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، دار المنارة، جدة، السعودية، 1985م.
- القاعود إبراهيم، أ. الطاهات زايد، أثر الهيئات الثقافية في محافظة إربد في ترسيخ الانتماء الوطني، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الخامس، 1995م
- قصيعة، عبد الرحمن أحمد، مستوى اكتساب بعض المفاهيم التاريخية الفلسطينية لدى طلبة الصف التاسع الأساسي بمحافظات غزة وعلاقته بانتمائهم الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، 2000م.

- مايـر، ريتشـارد اي، التعلـم بالوسـائط المتعـددة، تعريـب ليلـى النابلسـي، مكتبـة العبيـكان، الريـاض، 2004م عبـد المنعـم، منصـور أحمـد، دور القيـم في تعليـم الجغرافيـا في المـدارس الثانويـة، مجلـة كليـة التربيـة، العـدد(2)، جامعـة الزقازيـق، مصـر، 1986م.
- ناصر، إبراهيم، التربية المدنية(المواطنة)، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، 1993م.
- يكن، منى حداد، أبناؤنا بين وسائل الإعلام وأخلاق الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1985م.
- يوسف، عبد التواب، فصول عن حقوق الطفل، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1998م.

المراجع الأجنبية:

- Gerald M.Philips & Julia wood, Relationships. The study of Interpersonal Comunication.
- Guy Rocher. Introduction aLa Sociologic General Organization.Sociale.

تم بحمد الله

إدارة مـراكـز التنمـيـة الأســـريـة
Department of Family Development Center

هاتف: 06 506 55 54
براق: 06 506 55 04
صندوق بريد: UAE, Sharjah, 2064
الموقع الإلكتروني: www.fdc-shj.ae
البريد الإلكتروني: info_tanmya@scfa.ae
FDCtanmya